

وضعية الأديب

بقلم غالب هلسا

اما جمهورنا فهو عندما خرج من اسر العلاقات الابوية وجد نفسه كالطفل العاجز الذي لا حول له ولا قوة ، فالتحرك في المجال الاقتصادي محدود جدا بسبب عهود طويلة من السيطرة الاستعمارية ، والتعريف عن الذات في المجال السياسي كان - في اغلب الاحيان - مجرد تسمية لاصحاب المصالح الكبيرة او لمعد من الوصوليين الفامرين . ومن الامور ذات الدلالة انه في الوقت الذي كانت تحدث فيه انطلاقات ثورية عنيفة متميزة بانفعال شديد لم تخلق اية عقيدة - كالعقيدة البروتستانتية في اوروبا - تؤكد خصائص الحركة الدائبة في الاشخاص . كما ان الفرد في هذا الجمهور لم يمنح الاستقرار والاطمئنان الكافيين ولا الثقافة لتتحول احلام اليقظة والرغبة في الفرار عنده الى اعمال فنية ناصجة واعية ، ولذا اصبحت الدعوات المتميزة بالكفوف تلاقى اقبالا شديدا وحماسا منقطع النظير . ان مجتمعا يرفع مستوى الدخل القومي ويؤمن توزيعا عادلا في الانتاج وفرصا متكافئة للعمل ويفتح مجالات واسعة امام الفرد ليعبر عن طاقاته هو الذي ينقل هذا الجمهور من مرحلة المراهقة الى مرحلة النضوج . ولتحقيق مثل هذا المجتمع تحتل وسائل النشر والتوجيه اهمية قصوى .

في المجتمعات الصغيرة المحدودة كان الطفل ينتقل الى مرحلة الكبار بيسر وسهولة . فهو يعيش في غرفة واحدة معهم ويراقبهم في مجال العمل واللهو وفي خلال ممارستهم لمختلف اشكال النشاط الاجتماعي ، فلذا يستطيع بدون جهد ان يمتص قيم مجتمعه من خلال الامثلة الحية التي تتحرك وتتصرف امامه . اما في مجتمعاتنا الحديثة فلاطفال حجرات خاصة للنوم وعمل الابوين ونشاطهم الاجتماعي يتم بعيدا عن اعين الطفل وعن مراقبته . ولذا يمضي عهد طويل على الطفل وهو يتلقى قيم مجتمعه من خلال الكلمات التي يلقها الابوان والمدرسين ، من خلال الكتب التي يقرأها والافلام التي يشاهدها الخ ... وكلما ازداد تعقيد الحياة ، تأخر دخول الطفل الى ممتلكاتها وقل مجال مشاهدة السلوك الاجتماعي ، واصبح متكيفا لان يتلقى ويتفعل من خلال الكلمات او اي شكل اخر يستعمل لايصال القيم الاجتماعية الى ذهن المتلقي .

فماذا كان دور وسائل النشر والثقيف عندنا ؟

لترافق الجمهور التلقي في رحلة يومه !

قبل مواعيد السينما في المساء تحتشد شوارع القاهرة الرئيسية بعشرات الالاف من النساء والرجال حتى يصبح المرور فيها عمليسة مرهقة . كانوا قد امضوا يومهم في دوامة من الاجهاد والمعاناة والضيق ، ثم تسلقوا الاوتوبيس الزدحم تشاجروا مع الكمساري والركاب واندفعوا في الشوارع يتخطون العربات السرعة ويمكسون الفتيات وربما تشاجروا بسبب ذلك . ثم وجدوا مكانا في الصفوف الطويلة المنتظرة امام نوافذ التذاكر. وفي فلام قاعة السينما ينسى المتفرج من حوله ويعيش هو والفلم فقط . على الشاشة يظهر عمر الشريف او عبد الحليم حافظ او شكري سرحان .. انسان يحمل هموما كهومته : حياة بلا معنى ... بحث عن شيء ما .. قلق .. ويسير على كوبري قصر النيل ، او امام مقاه سحرية ، وينطف الى حديقة الفردوس او الى حديقة الحيوانات وهناك يلتقي بفتاة رالمة الجمال ، تحمل كتبا مدرسية:

اصبح من الامور الشائعة والمنتظرة ان يلعب الاديب في مستقبل حياته بعمل جيد قد ينقل جهدا كبيرا في خلقه ، ثم يتحول بعد ذلك الى كاتب ظريف ، ثرثار ، ذي علاقات غرامية معروفة ومجد وثرء .

ومثل هذه الظاهرة عامة في حياتنا الى حد انها تكاد تكون خط مسير جميع الفنانين لايشذ عنها الا القليلون ممن لم يتعلموا سر الصنعة بعد. ويتخذ كثيرون سمة الاستاذية فيقولون لنا ان هؤلاء الكتاب قدس لعوا دورا تقديما ، واما ماوصلوا اليه الان فعلينا ان نسكت عنه . والحق ان هؤلاء يتقدمون في انتفاص هؤلاء الكتاب الى ابعد مما يذهب اقسى نقادهم . اذ هم يتقدمهم مثل هذه الاعتذرات عنهم انما يعتبرونهم في حكم الاموات ، ولذا علينا - تعففا - ان نكتفي بذكر محاسن موانا .

ومثل هذه المشكلة قد اثار الانتباه منذ زمن بعيد ، فقد غلغها طسه حسين - مثلا - بانها تعود الى ان الشبان في هذه الايام - ولا ادري لماذا قصر المسالة على الشبان - لا يبدلون قدرا كافيا من الجهد ، وهذا الجهد في رأي الدكتور هو ان يقن من اراد ان يتخذ مهنة الكتابة السريانية والعبرانية واليونانية واللاتينية وكذلك عددا من اللغات الحية لا يقل عن الاربع ، بجانب انكابه على عشرات الالاف من الكتب الحديثة والقديمة ، والدكتور بعد هذا كله زعيم بان يكتب الكاتيب فيجود الكتابة .

وقال العقاد - ولم يكن يقصد الهزل - ان ذلك كله يعود الى ان هؤلاء الجهلة لم يقرأوا كتبهم ، او لم يفهموا ماجاء فيها - ان قراوها . ورأي اخرون ان هذه المشكلة سببها هو الاحساس بعدم المسؤولية ، والخوا بحسم على الكتاب بان يتخلوا عن لا مبالاتهم . وانكر اخرون وجود مثل هذه الظاهرة اصلا .

ربما كان بعض هذه الآراء صحيحا ولكنه غير واف . فعندما نقصر المشكلة على انها مجرد سوء في اخلاق الكتاب وفي نقص الجهود التي يبذلها وبسبب عدم احساسه بالمسؤولية ، فاننا لانختلف كثيرا عن وعاقف السجون ، اذ ان هنالك عاملين هامين فيما يختص بالانتاج الادبي :

اولا : الجمهور المتلقي

والثاني : علاقة الكاتب بهذا الجمهور .

ان الطابع المميز لهذا الجمهور انه جمهور مراهق ، وهذا تقييم لواقع علينا مواجهته بصراحة . ان ظروفنا الاقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة الجذور قد ادت الى ذلك . فهذا الجمهور - واعني به الاكثية من سكان المدن والتي تكون الاغلبية القارئة - قد خرج - او هو في طريقه الى ذلك - من العلاقات التي تمنحه الوفال مع العالم والتي كانت تتمثل في المجتمعات الصغيرة المفتوحة البسيطة التي تسيطر عليها تقاليد قرون طويلة ، الى مجتمع قد منحه قدرا من حرية السلوك والتحرر من التقاليد ، وفي الوقت نفسه سد في وجهه جميع سبل الحركة . ان الانسان الاوروبي عندما خرج من مجتمع القرون الوسطى انطلق كالعصار يستعمر البلدان المتخلفة ، ويستكشف القارات الجديدة ، ويكسب الاموال ويشن الحروب ويحقق انتصارات ساحلة في مجال العلوم وفي مجال التطبيق .

يحصيها عد ... سوسو الرائعة المكافحة تهديه مجوهرات تساوي ملايين الجنيهات ... العمدة والفلاحون يلتفون حوله ويقومون جمعية تصاونية .

وقد صرح كاتب هذه الرواية منذ مدة قصيرة ان مستوى القصة العربية يفوق مستوى القصة في اوربا وامريكا ؛ ومن الواضح انه يعني القصص التي يكتبها هو .

وهناك قصة الشاب الذي تزوج ابنة الامر الذي كان يقف ابوه بوابا على قصره .. وحكاية الشاب الذي يذهب الى اوربا فتتسابق اجمل الحسنات لتعاقب وتضاجع الوحش الاسمر القادم من الشرق . هكذا يفتح الشبان ان اهدافهم في الحياة تتلخص في السكنى في فيلا رائعة ، وفي امتلاك المرأة جسدا وروحا وفي ان يصبح للفتاة قوام بريخيت باردو او صوفيا لورين - حسب الطلب - . والسبيل سهل ميسور لا يحتاج الى اي جهد او عناء ، مجرد جركات بسيطة يؤديها الانسان او كلمات معينة يرددها كان يلمس قدمه اليسرى بيده اليمنى ، وان يكون له جسدا مليئا بالشعر وعضلات وحشية هائلة ، وان تتناول الفتاة الفاكهة صباحا وكوب لبن قبل ان تنام .

وعلى ناحية شارع سليمان باشا وقصر النيل و ٢٦ يوليو يحتشد المئات ممن استعملوا جميع الصفات التي تحقق لهم السعادة وتبعد عنهم القلق وقد اخذ صراخهم وشتائمهم ومعاكساتهم تظفي على ضجة الشارع .

ان وسائل النشر بما فيها الفن قد خلقت انسانا له اهداف ليست

فان حمامة او ليني عبد العزيز او شادية .. فتاة بريئة شديدة السذاجة خفيفة الروح ... يعاكسها الشاب فتستجيب ، وامام القاص حديقة الحيوانات او في جزيرة الشاي او اي مكان اخر ينشا الحب بين قلبيين طاهرين .. يعني البطل او البطلة عدة اغان تعبر عن هذا الحب .. الجميع : البطل والبطلة واصدقاؤهما يعيشون في قبلات فخمة محاطة بالحدائق وباناس يحبونهم ويودون لهم كل خير .

ويدخل العاذلون او اب اسطوري ابله او يحدث سوء تفاهم غير مقصود فيرفع البطل عقيرته بالنواح ، ويزداد شعوب وجه البطلة .. وبقدرة حلال القصد تتلاشى المشكلات وتذوب وتمتلئ الشائسة بقبلة حارة .

وهكذا تبسط المشكلة التي يعانها المتفرج الى حد ان تصبح مجرد سوء تفاهم ، تصبح معاناته وضييقه ومشكلاته المادية وسماجة بنسب الجيران هي مجرد عناد اب ابله من السهل اقناعه باي شيء . والخروج من الدوامة التي يعيش فيها يصبح من ايسر الامور : ان يلبس بنطلونا ضيقا ويسرح شعره بطريقة مفيئة ويقول للفتاة التي تسير امامه كلمات كالتي قالها شكري سرحان .

وفي الخارج يواجه المتفرج اخرين قد كيفتهم السينما ووسائل النشر الاخرى واستلبت منهم كل ذكاء في فهم الواقع ، ووقعوا في اسراخذة السينمائية : ابطال لهم همومهم نفسها ولكنهم يحلوننا بمجرد الفاظ وحذقة خارجية .

وفي الشارع بين اكوام الكتب يعثر على ضالته : (هذه المرأة لي) (النفس القاتل) (مذكرات فاجرة) .. وفي المفهى يدفع اليه اعلان كتاب :

(الصراحة التامة في العلاقات التناسلية .. الكتاب المرشح لجائزة الدولة ... كيف تحب وكيف تكون محبوبا وكيف تجلب قلب المرأة اليك وتعرف ميولها واخلاقها وطباعها .. والحاسة التناسلية عند الرجل والمرأة .. ليلة الزفاف وشهر العسل وتهديج الشهوة عند الجنسين .. القبلة الاولى على سرير النوم وكيف تعرف سر المرأة من اول نظرة . كيف ترجع شبابك حتى لو كنت في الاربعين ... ما هي الصفات التي تحبها المرأة في الرجل وبالاختصار فهذا الكتاب يريك اعظم الطرق التناسلية والصحة به تمتلك المرأة روحا وجسدا وهو يهم المتزوجين والعزاب .)

واما الفتاة التي سدت في وجهها السبيل وحرمت من الزواج والمتع والاصدقاء فما عليها الا ان تشتري مجلة « اخر ساعة » او مجلة « الجيل » فهناك الحلول السحرية لكل المشكلات (ب. ب. ب. .. خصر ٢٠ م. صدر ٦٠ م. س ٩ م. ارداف ٩ م. .. تقول ان سر رشاقتي انني كل صباح ارفع قدمي الى مستوى انفي عشر مرات كل يوم ، واضع عصا على فخذي واميل يمنا ويسرة عشرين مرة كل يوم كما هو مبين بالصورة ... هل تريدن يا سيدتي ان يكون لك فتنة صوفيا لورين ؟ المسي طرف قدمك اليسرى بيدك اليمنى ، وقدمك اليمنى بيدك اليسرى ثلاثين مرة كل يوم ... صباح تقول : عندما ولدت صرخت امي : بنتا . ووحشة كمان ! ولكن جمالي يعود لتناولني الفاكهة كل صباح وشرب كوب لبن قبل النوم .)

واية احلام تولد في ذهن المراهق عندما يقول كاتب معروف (انما لا استطع النوم ... ذهبت الى الدكتور فقلت له انني لا استطع النوم ... ربما كان سبب ذلك يا دكتور انني اكلت سمكا في هونج كونج ، وشربت شايا في الهند ، واعطيت خادمة المطعم في امريكا عشرة دولارات بقشيش واكلت جينا في الكونغو . واعطاني الدكتور اقرصا منومة ... فمنت ولكن امي صحتني من النوم ... قلت لها لا تصحيني من النوم ... ولكن وحياتكم ما فيش فائدة ...)

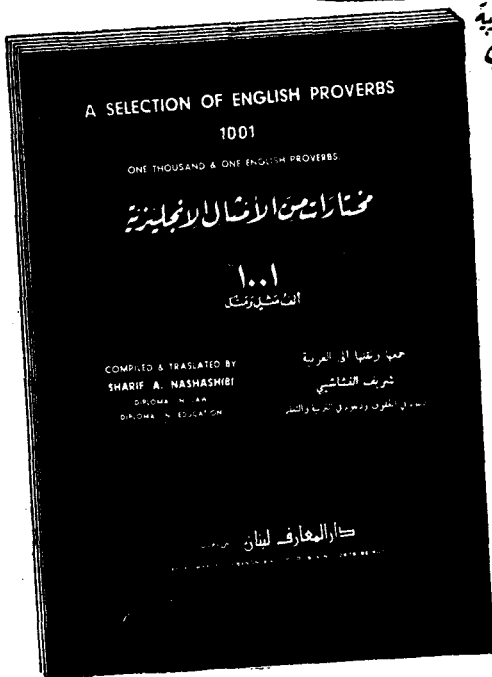
وقصص مسلسلته تشر في مجلات اسبوعية : حسنين - مثلا - ابن فلاح فقير معدم ويجب سوسو بنت الاقطاعي الكبير . حسنين يصبح بطل مصارعة ، لاعب كرة ممتازا ، مفكرا كبيرا ، مصلحا اجتماعيا وبطلا شعبيا . تاتي عشرات الالوف من الجنيهات على كفائه التي لا

دارالمعارف لبنان ش.م.ل.

بناية السيلي - السور - ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤

مفهم
للمفاهيم العربية للوك مرة ترجمة لأهم الامثال الانكليزية الى اللغة العربية. وهذا الكتاب مفيد لدراسة اللغة الانكليزية ولدراسة الفكر العربي

الى المؤلفه قام بنقله
الى اللغة الانكليزية
العربية بترجمة وادبارة



جمعا ونقلها الى العربية
شريف النشاشيبي



الشمس
٢٠٠٠
أوما يعادنيا

تطلب من جميع المكتبات الشهية

مستمدة من واقعه ، وانما نمط سلوكية يتمثل فيها الهرب من مشاكله الحقيقية والاستسلام لاحلام اليقظة .

حدثني احد الاصدقاء انه احس مرة انه ربما كان متعاملا على الروايات ذات التوزيع الواسع والافلام المحلية التي تلاقي اقبالا شديدا ، وان ما قرأه وشاهده لا يكفي ان يكون اساسا للحكم . فقرر ، لذا ، ان يقرأ عددا من هذه الروايات وان يشاهد بعض هذه الافلام . ولكنه اكتشف انها اشد سوءا مما كان يتصور ، اذ انها ليست شديدة الرداءة من حيث التنكيك والبناء الفني ولكنها كلها تشترك في لا معقوليتها . فالؤلف او المخرج يختار باستمرار ذلك الحل للموقف الذي يكون اشد اصحاكا واكثر استحالة . وهو يستغرب كيف تروج مثل هذه الاعمال التافهة بينما يقل توزيع اعمال نجيب محفوظ ويوسف ادريس مثلا؟

للإجابة على هذا السؤال يجب ان نأخذ في اعتبارنا امرين :

الاول : ينظر الى الفن على انه مجرد ترفيه عن الاعصاب المتعبة ، ومحاولة الانسان الضجر النازم للفلق نسيان همومه . ان انسانا كهذا يلجأ الى عدة ميكانزمات للخروج من موقف اصبح لا يطاق ، احدها الاستغراق في احلام يقظة يحملها رموز واقعه وصراعه ويضع لها حلولا ساذجة كالحلول التي يضعها الاطفال لمشكلاتهم ، اذ ان حلم اليقظة هو شكل من اشكال النكوص الى مرحلة الطفولة . ولذا كان ما يطلبه من الفن هو الذي يمثل احلام الهارب من واقعه ... انه يسأل نفسه ، ماذا اصنع هذا المساء ؟ هل اصطاد امرأة .. ام اشرب زجاجة من البراندي الرديء ... او اقرأ رواية ام اشاهد فلما ؟ ان عناء واقعه يؤكد تمسكه باحلام اليقظة ومثلها ، فلذا يقوم باسقاطها على العلاقات التي تؤلف عالمه الحقيقي ليفنيها بما تفتقر اليه من تراء وحيوية . ان العالم الحقيقي يصبح دائما مختلطا ببديله في حلم اليقظة .

اما نجيب محفوظ ويوسف ادريس فما الذي يقدمانه؟ وماذا يثيران في داخله ؟ ان ابطالها هم مجرد متسكمين في حانات او موظفين صفار او طلبة تطحنهم دوامة الحياة في حواري شبرا او زقاق المدق او خان الخليلي ... او هم آخرون يتمردون من خلال اكتشافهم لزيغ الحلم ومحاولتهم تخطيه .. اي انهم بكلمة اخرى يشدون قراءهم الى الواقع يجعلونهم اكثر ذكاء وشد قدرة على فهم هذا الواقع . ان مثل هذا الفن يطالب قراءه بالوعي ويدلهم على ان الطريق الى اعلى هي من خلال المانة والوعي والصراع . فهل من المعقول ان يتقمص القراء - مثلا - شخصية حسنين التي تندفع من خلال احلام اليقظة الى الانتحار ؟

وحتى تصبح المقارنة واضحة فعلينا ان نقمق مقارنة بين مصر حسنين التي حطمت احلام غير مستمدة من واقعه وبين ما قامت به احدى الصحف عند افتتاح فندق الهيلتون في القاهرة .

كانت احدى المدونات لحفلة الافتتاح الممثلة الامريكية المعروفة جين راسل . وقامت الصحيفة المذكورة بتريديد هذه الحكاية المضحكة في صفحاتها الاولى : ان الممثلة الامريكية وقعت في غرام احد خدم الفندق . وكانت عناوينها تقول ان الممثلة الامريكية قالت للجرسون صباح الخير ، ثم قالت له اريد ان اكل ، ثم ابتسمت ، ثم تنهدت ، ثم طلبت منه ان يحضر قهوة لها بعد الفداء ، ثم ابتسمت وتنهدت ... ثم اسرت له شيئا وابتسم ورفض ان يبوح بالسرا ... وزادت الصحيفة بان نشرت صورة لاب وام الجرسون وهم في ثياب رثة لتؤكد ان لا شيء مستحيل ...

لقد خلقت الصحيفة جميع العوامل التي تجعل اكبر عدد ممكن من الناس يتقمصون شخصية هذا الجرسون . فهو ليس مجرد خادم في فندق ولكن له ابا واما كمعظم الاباء والامهات .

ان معنى هذا ان اية ممثلة اخرى هي في تناول الجميع ، فما دامت جين راسل تقع في غرام خادم الفندق فما الذي يمنع صوفيا لورين ، او انجريد برجمان او استر وليامز ان تقع في غرام موظف في

الدرجة السادسة او طالب بالجامعة او خادم في فندق اخر ؟ ان الاحداث التي تثيرها مثل هذه الحكاية ستكون على حساب علاقات العشرات بزوجاتهم وصدقائهم ، اذ ستبدو اي علاقة غير مرضية ما دامت في شكلها الواقعي في الوقت الذي تصبح فيه استرويليامز ممكنة . وبكلمة اخرى اننا نحرم هؤلاء العشرات لان يعجبوا او يتفعلوا في مستوى ظروفهم ولان يحققوا ذاتهم من خلال فهمهم وتخطيهم لهذه الظروف ونجعلهم معلقين باحلام سخيفة وباماني لا يمكن تحقيقها الا من خلال احلام اليقظة او ابدال الواقع باسقاط قيمة اخرى عليه ليست فيه .

الثاني : ان الوصول الى منحة فنية راقية يحتاج الى قدر كبير من الاستقرار المادي والنفسي والاستعداد والثقافة . وتلك امور وان كنا نسمى جاهدين لتحقيقها الا انها تحتاج لجهد متواصل وعناء طويل حتى نحققها كما حدث في جميع البلدان التي ارادت ان تطور نفسها وتحقق الرخاء لافرادها .

واذا اردنا تلخيص ما تقدم نقول ان الجمهور يواجه ظروفا صعبة ومعاناة قاسية لا تساعده على الاستقرار النفسي ومن ثم النضوج العاطفي والذهني . ولقد كان دور الفن والنشر - او غالبته - خلق منافذ يتخلص فيها الافراد من قسوة انفعالاتهم ومعاناتهم متمثلة في احلام اليقظة ، وخلق عالم ومشكلات ليس لهما صلة بعالمهم ومشكلاتهم . وان ذلك يتم عند الافراد بالفاء قدرتهم على فهم الواقع والنفاذ الى حقيقته من خلال اسقاط احلام اليقظة عليه او من خلال ابداله القيم الحقيقية بقيم خارجية مفروضة عليه .

ويمكننا ان نضيف الى هذا ان الهرب من المشكلة الحقيقية بوسائل النكوص والهرب راسخ في ثقافتنا ؛ فاستعمال الاحجية ، وحلقات الزار ، وغير ذلك من الاساليب ما تزال شائعة وتستعمل للتخلص من الانفعالات التي يثيرها شديد التعقيد يعجز الانسان عن حله بسهولة او فهمه بوضوح .

ولكن هل حلت المسألة بهذه الصورة ؟ وهل استبدال القيم الحقيقية بقيم مفروضة عليه من الخارج استطاع ان يخلصه من معاناته ويكسبه الرضى عن النفس ؟

لو اخذنا ظاهرتين تلتاين اقبالا منقطع النظر من الجمهور بالبحث لتبين لنا ان العكس هو الصحيح : وهما تمثيلات (ساعة لقلبك) واغاني الحب الحزينة . تدور تمثيلات (ساعة لقلبك) في العادة حول شديد البله والعبث ، يذهب مثلا الى الجزائر فيقول مثلا انني اريد عشرة ارجال عظم على شرط ان يكون سعر رطل العظم عشرة اصعاف رطل اللحم ، او حول رجل فشار يدعي انه بنى الهرم الاكبر او ابتلع فيلا بحاله واخر يصدقه ، او ان يطلب منه الكمساري قرش صاغ ثمن التذكرة فيعطيه جنيها ويستغرب عندما يرد له الكمساري الباقي .

وهناك دائما شخصية ذكية تهزأ من الرجل العيب وتؤكد بلاهته . واما الاغاني فهي مجرد بكاء ونحيب متصلين : « لا ، مش انا اللي ابكي ولا اللي اشكي وان جار علي الزمان » « دموعي الحيرانه وعيون السهرانة » « يا تصبرني على الحرمان يا ترجمني ليالي زمان » « بيكي ليه على جرحي وصاحب الجرح مش فاكر » « اشكي لك بدمع العين » ... الخ ...

ان تمثيلات (ساعة لقلبك) هي مجرد مداعبة لفرور المستمع ؛ فعندما تؤكد له ان المضحك من الاشياء هو شيء قريب من الجنون المطبق فاننا بذلك نؤكد له انه على ما يرام ، كما اننا نفتح الطريق امامه لتقمص شخصية الانسان الذكي في التمثيلية الذي ينصرف همه الى اقناعنا ان الرجل الابله هو ابله بالفعل .

وهكذا يستغرق المستمع في اطمئنان وثقة بالنفس زائفين اذ من الواضح انه ليس ذلك الابله الذي يشتري رطل العظم بجنيه ويدفع لكمساري قرش صاغ فقط . اننا بذلك نستلب كل قدرة على النقد الذاتي التي تكون دائما جوهر كل فكاهة راقية . كما ان اقبال المستمعين على الاستماع لمثل هذه التمثيلات يدل على شعور بالتفاهة ورغبة حقيقية في الهرب من مواجهة النفس بصراحة .

ولكنها ما زالت بعيدة عن اقبال الجمهور لانها لم تكتسب بعد صفات السلعة الراجحة التي يشتريها الجمهور باطمئنان .
وبكلمة اخرى عليه ان يتغير حتى يروج ، أي ان ينتقل من مرحلة الانسان الذي ينصرف بوحى من قيمه الى مرحلة الانسان السلعة الذي يسعى الى الزواج .

عندما يحاول شخص ما ان ينشيء مصنعا فعليه ان يحقق امرين ان اراد لمصنعه ان يستمر . الاول ان يكون واثقا بان هذه السلعة يمكن ان تباع ، وحاجة الجمهور لهذه السلعة امر ثانوي اذ ان البائع الماهر يستطيع بوسائل لا حصر لها خلق الاف الاحتياجات الوهمية عند الجمهور . والثاني ان يكون واثقا من قدرته على خلق هذه الاحتياجات عند الجمهور .

ان الاديب يختلف ، هنا ، عن السلعة في انه لا يبلى بسرعة ولا يتكدس في المخازن اذا لم يَرَجُ ، وهكذا باستطاعته ان يبدأ من جديد ويعيد التجربة مع بعض التعديل .

لنفترض ان هذا الاديب اشتغل في مجلة (ب) ، واخذ ينشر فيها مقالات عن (الموت في قصص هيمنجوي) ، او (الطبقة الوسطى من خلال مؤلفات فلوير) وما شاكل هذه الموضوعات . وسيجد ان رئيس التحرير يلومه فلم تصل اي رسالة اعجاب بما يكتب هذا الاديب ولا حتى مكالمة تلفونية من مراهقة . وبطريق المصادفة وبما يشبه المزاح يقدم هذا الاديب مقالا حول هوايات جين مانسفيلد ، او تحت عنوان (الطريق الى الشهرة !) وفجأة تصل عدة رسائل عن يكون هذا النجم

- التتمة على الصفحة ٥٥ -

واذا قارنا هذه التمثيلات بشخصية (بابت) التي ابدع سنكلير لويس في تصويرها لتبين لنا الفارق بين نوعين من الفن الضاحك . فبابت ليس شخصا ابله ولكنه الصورة الشائمة لطبقة كاملة فسي المجتمع الأمريكي ، ولذا كان اظهاره بمظهر الشخصية المضحكة يحتاج من القارئ العادي ان يرتفع بوعيه عن المستوى العادي للادراك والثقافة ، وبالتالي ان يتخطى نفسه وبهذا يساعده على ان يرتفع عن القيم والاكاذيب والتفاهات التي يفرقه بها مجتمعه .

اما الحزن في حد ذاته فلا اعتراض لنا عليه فهو عند دستويسفكي، وشكسبير وستندال وارثر ميللر وكثيرين غيرهم يمثل نفاذ النظرة الى اعماق الحياة . اما هذا الحزن الذي تردده اغانينا فهو بلا داع ولا سبب ولا يوجد اي سند له من الواقع ، فمن منا يبحث عن فتاة لا هم لها الا ان تعذب (على قسد الشوك اللي في الورد بحب الورد) وكيف يمكننا تصور هذه الفتاة التي تذيب دموعها كل ما يقع تحت يديها من متاعيل ؛ وهل يمكن لابن القاهرة الذي يصادف عشرات الاف من النساء كلما مر في الشارع ان يفرق في الانشغال وسهر الليالي لمجرد انه رأى عيني فتاة ؟ ومن منا يأخذ في اللطم البكاء واقامة الدنيا واقعاها لان فتاة ما لم تسكن بجواره ؟

ان اي قدر ضئيل من الرونة والذكاء عند المستمع السوي سيجعله يشعر ان هذا العويل لا يفرق عن بكاء مهرجي السيرك . اذا ، فمسا هو سبب رواج هذه الاغاني ، وبماذا نفسر اصرار المستمع على طلبها ومواظبته في الاصفاء لها ؟

ان الحزن هنا هو رثاء الانسان المنعب لذاته ، واحتجاج اليم على المآزق الذي دفع اليه : احلام لا تتحقق ، وواقع خال من كل ثراء لان قدرته على فهمه ومعاشيته قد استنبتت تماما ، وانه بالتالي تمرد على عملية تسطيحه وتحويله الى انسان ابله .

وبكلمة اخرى ان ايهام الجائع بأنه ممتليء المعدة سيترك احساسا عميقا بعدم الرضى مهما حاولنا ان نقتعه بأنه شعبان . وهو دائمسا يبحث عن هذه الوسائل الساذجة في التعبير عن حزنه - اي سماع اغاني الحب النافهة - لان ذلك لا يكلفه اي جهد في الفهم ولا يحتاج الى اي قدر من الذكاء واستكشاف الذات .

★ ★

كيف يلتقي الاديب بمثل هذا الجمهور ؟

يبدأ الاديب في الكتابة وعلاقاته لا تتجاوز فئة محدودة من الاصدقاء الجادين ، ولذا يسبق ظهور انتاجه في السوق جهدا كبيرا في التحضير والقراءة ، ثم عرض هذا الانتاج على تلك الدائرة المحدودة من الاصدقاء . ويقسو هؤلاء الاصدقاء في الحكم مما يدفعه الى معاودة كتابة هذا العمل او ربما الى التخلي عنه ليقيم عملا اكثر جودة واصالة .

وبعد محاولات عديدة ينجح في الاتصال ببعض النقاد او المسؤولين في الصحف فينشر عمله ليجد صدى بين فئة محدودة ذات تأثير في الحياة الادبية ، ويعرف عنه انه شاب يبشر بخير وانه جاد . الى هنا ما زال بعيدا عن الجمهور الحقيقي الكبير الا ان طريق العلاقات قد انفتح امامه وما عليه الا ان يخطو خطوات قصيرة حتى يصبح على رأس سلم الشهرة . لقد اصبح اسمه رائجا ولكن ليس بين الجمهور .

والاديب في هذه المرحلة يذكري بمطعم في شارع سليمان باشا في القاهرة كنت اتناول فيه طعامي اول ما قدمت . وكان المطعم ، انذاك ، يقدم طعاما ممتازا . وياثمان رخيصة جدا ، كما كانت ادوات الطعام تفسل بالماء المغلي بعد كل وجبة . وكانت الخدمة فيه تتخذ شعار (الزبون دائما على حق) . ولكن الزبائن في السنة الاولى كانوا قلة . ومع مضي الزمن اصبح المطعم يقص بالزبائن في وقت من اوقات النهار وتغير كل شيء فيه . ساءت الخدمة ، وارتفعت الاتمان ، ولكن المطعم ما يزال يقص بالزبائن .

اننا نستطيع ان نقول الشيء نفسه عن الاديب اذ هو في المرحلة الاولى يكون - كهذا المطعم في اول عهده - مجرد قدرة ذاتية مجتهدة ،

دار المعارف لبنان ش.م.ل.

بنابة الصليبي - السور - ص.ب. ٢٦٧٦ - تلفون ٢٣٥٧٤

قصص قصة الفيران الثلاثة ، انما اعظم قصص المغامرات في العالم . وهذه الترجمة الجديدة لها قصة الفيران الثلاثة القديمة تقدم لك ابطال الرواية في زمن جديد واسلوب جديد ورائع ويستمتع . مع هذا كله المرحمة السليبي في قصة الفيران الثلاثة حشر والكره بالاسم سليمان .

اقراءه القصة واحفظ بها لزمن قصة حبه خالدة وبغاية متيرة دربطولقة ساحرة !

الفيران الثلاثة

جذآن

تأليف
الاسكندر دروياس



تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

وضعية الأديب

— تنمة المنشور على الصفحة ٩ —

الجديد ، وتصله مكالمات تليفونية من نساء من مختلف الأعمار معلنة ان هذا الكاتب انقذ حياتهن ، وانه دلهن على الطريق السوي بعد ان عانين كثيرا من الضياع . ويساله عشرات المراهقين عن هواياته ، واخرون يطلبون منه المشورة .

وهكذا يكتشف سييلا ميسورا للشهرة والصعود . ومع قليل من الجهد الاجتماعي تظهر قصصه في السينما بعد ان يدلي اليه المنتج والمخرج ببعض النصائح وبعد ان تحوّر الممثلات في الأدوار ، حتى تبدو كما تود ان يراها جمهورها .

ان الوضع الجديد قادر ان يزعه بسهولة من جديته واخلاصه وتتحول جميع القيم التي كان يتبناها في السابق الى مجرد تهريج . سيتحدث في السياسة وعينه على جمهوره فيقول انه لا يكفي ان نقول ان الانتخابات الأمريكية تخضع لظروف اقتصادية وسياسية معينة ولكن علينا ان نأخذ في اعتبارنا فتاة ساحرة تتبع نكسون كظله ، او يكتب عن دور زوجتي ايزنهاور وخروشوف في محادثات كامب دافيد . ويصبح الحديث عن الفن معناه التحدث عن مبادئ الفنانين وعلاقتهم الفرامية وهواياتهم ومقدار جاذبيتهم الشخصية . ويقول انه قابل المثلة توتو فيصف رقتها وحساسية تقاطيع وجهها وملابسها الثمينة والبسيطة في الوقت ذاته ، واضرابها عن وسائل التجميل الرخيصة ، ثم يصل الى نتيجة ان فن معاملة الناس هو اعظم من كل الفنون مجتمعه .

✱ ✱

ربما بدا ان الوضع الذي اوجزناه يكون حلقة مفرغة : الأديب يتكيف باحلام اليقظة عند قرائه ، والقراء يلتهمون ما يقدم اليهم فتناكد بذلك هذه الانماط السلوكية التي شرحناها والتي تعود فتفرض نفسها على الأدباء . وهذا كله يعني الفناء دور جمهور القراء الجاد في ان ينعكس على انتاج الكاتب ، وفي دور الكاتب الجساد في التأثير في جمهوره .

وسبب ذلك ان الاثنين لا يستطيعان الزواج ، فلا الجمهور القارئ الجاد يكون عددا كبيرا ولا الكاتب الجاد بمستطيع ان يمضي في قول ما يريد ويظل مجهولا وجامعا .

وقد يعترض البعض قائلين ان نجيب محفوظ استطاع ان يمضي خمسة عشر عاما او ما يقارب ذلك وهو ينتج دون ان يتأثر بلا مبالاة جمهوره وحتى بانصراف العناصر الواعية عنه ، ولكنه بالرغم من ذلك استطاع ان يؤكد نفسه ويلاقي بعض الزواج .

ولنا ملاحظتان على هذا الاعتراض :

الاولى ، ان نجيب محفوظ اختار ان يتمد بطوعه عن هذا الجمهور وعن ردود فعله ، فعمل موظفا ومن خلال الوظيفة استطاع ان يسد حاجته المادية ، وكان يكتب في اوقات فراغه ولم يكن ذلك ياتيه باي دخل معقول .

ولقد كان لهذا كله اثره على انتاجه ، ففي الوقت الذي نلمس فيه عمق وحيوية وصف التجربة الشخصية متمثلة في الانماط التي عايشها في طفولته وصباه ، وفي وصف عزلته الخاصة ، نرى انه لم ينجح في تصوير الشخصيات التي نشأت في بيئات الحياة الجديدة ، اذ تبدو مصورة تصويرا عقليا وبلا ابعاد . فهل نستطيع ان نقول ان وصفه لشخصيات احمد عبد الجواد وامينه وياسين وكمال يماثل شخصيات الشبان في ثلاثيته ؟

الثانية : هل اصبح نجيب محفوظ مقروءا بالفعل ؟ وهل كان اقبال القراء عليه بسبب تجاوب حقيقي وبين الاغلبية القارئة ؟

بفض النظر عن ارقام التوزيع فان اقبال على نجيب محفوظ يماثل اقبال على (الموده) الجديدة ، او كما يقبل اترباء العرب على شراء لوحة ليكاسو لا يستطيعون تلوقها . وسبب هذا ان التناقص عندما التفتوا - بشيء من الشعور بالذنب - الى نجيب محفوظ واخذوا في تحليل كتبه والتأكيد على اعتباره كاتباً ممتازاً ، وتلا ذلك صفار الصحفيين الذين اخذوا يحدثوننا عن اراء نجيب محفوظ في المرأة وفي ممثلات السينما ، وعن كيفية قضاء ساعات فراغه ، ثم اخذت بعد ذلك رواياته تنتقل للشاشة احس الجمهور ان شيئا ما يتقصم ويصيب في حقهم ان لم يقرأوا نجيب محفوظ . فمن المعروف ان افراد هذا الجمهور لهم رأي عال جدا في نفوسهم .

اذكر منذ اربع سنين ، عندما كنت طالبا بالجامعة الأمريكية اني قمت باستفتاء بين الطلبة الذين كانوا على اهبة التخرج حول ارائهم في الموسيقى والأدب وهواياتهم المحببة . وكانت الاجابات مدهشة حقا كانها مدسوسة لمجرد التشجيع .

قالت طالبة انها تحب فوكتر - وقد كتبت بحثا عنه وبالت عليه تقديرا مرتفعا - و ت . س . البيوت واحسان عبد القدوس . هوايتها جمع الطوابع البريدية وهي تملك مجموعة ممتازة بالفعل . في الموسيقى تحب بينهوفن (موت) ، وتحب صوت عبد الحليم حافظ وفريد الاطرش - لا تدري سببا لهذا الهجوم عليه ؟ -

من الواضح ان هذه الطالبة قد جمعت بين ما تحب فعلا وبين ما تعتقد انه جدير بالانسان المثقف ان يحب ، ولهذا كانت اجابتها عن رايها في نجيب محفوظ - ولم يكن انذاك قد اصبح مودة - انه Vulgar سوفي ، وانها امتنعت عن قراءة اي شيء له بعد ان فرات جزوا من روايته « زقاق المدق » . ولما قلت لها ان فوكتر هو الاخر يكتب عن شخصيات سوقية اجابت بحماس : « لا ، لا ، لا ، دا فوكتر حاجة ثانية » .

والان نعود الى المسألة الرئيسية وهي : من اين نبدأ ؟ هل نمسك برفاق الأدباء والفنانين ونقرهم على تحسين مستوى انتاجهم ؟ ام نتجه الى الجمهور ونبصره بحقيقة ما ينشر - على زعم اننا مستطيعون ذلك ببسر ؟ من الواضح هنا اننا نفضل عاملا اخر له اهمية فصول وهو الدولة التي ازداد اثرها ازديادا ملحوظا في التوجيه الاقتصادي والفني .

اذا ، نحن هنا امام موقف تكونه ثلاثة عناصر : الفنانون والجمهور والدولة . فلو اخذنا العامل الاول - الفنانين - وتساءلنا هل يتوفر لدينا الانتاج الجيد الجاد الذي يستطيع ان يأخذ مكان الانتاج الشائع ؟ استطنا ان نقول بكل بساطة ان لنا من التراث العالمي ما يسد جزوا من حاجتنا اذا احسن تقديمه للقارئ . والى جانب هذا فان عشرات الكتاب الذين يفرقون الان في حمى التفاهة كانوا يشكلون امكانية كتاب وفنانين كبار لو توفرت لهم الظروف .

لهذا فالمشكلة ليست انه لا يوجد هنالك ما يأخذ مكان الانتاج الشائع الذي يفرق السوق ، ولكن المشكلة ان الانتاج الجيد المتوفر يجد اقبالا محدودا فقط يجعل من محاولة تقديمه مغامرة غير مأمونة العواقب . الا ان هذا كله لا يبرر او يلغي مسؤولية الكاتب ازاء قرائه . فما زال الانسان الذي يستطيع ان يتجاوز ضرورات اللحظة الانية وتمقيدها ممكنا وواجب الوجود . لا يمكن للفنان الحقيقي - مهما كانت التبريرات - ان يتخلى عن ميزاته كإنسان وان يرضى بان يتحول الى سلعة رائجة في السوق . من غير المعقول ان يتلخص وجود الفنان في ان يدر اكبر قدر من النقود للمنتج والناشر ولنفسه مقابل تخليه عن صفة كونه انسانا حرا مسؤولا .

ان على الفنان الذي يبرر تفاهته بالظروف المحيطة به الا ينسى اننا نستطيع ان نستعمل المنطق نفسه مع المجرم فنتيح له السرقة والقتل والاغتصاب والعيش في بحبوحة ونقول انه حكم الظروف . ولكن كلا المجرم والفنان يدركان ما في هذا القول من مغالطة ، اذ ان كليهما يملك قدرا من الحرية والارادة يجعل اي فعل حتميا غير لسري .

ولكن يكفي ان نقول ذلك للفنان وندعه في العانة والارهاق ؟
هنا تبرز أهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه الدولة . ان واجبهما يتلخص
في حماية حرية الفنان من الحاح السوق ، وبالتالي من عملية تحويله
الى سلمه . وتبرير ذلك ان الفن لا يمكن ان يكون سلعة بالفعل ، لان
السلعة تستهلك في زمن محدود بينما يظل الفن يفتي ويثري الانسان
ويهدد احتياجاته الروحية لمئات وربما لآلاف السنين . اي ان الدولة
تستطيع بما لها من قدرة مادية ان تمنع عقلية التاجر الصغير من التحكم
في الفن .

ككيف يمكن ان يتم ذلك ؟

من الواضح ان حلا نهائيا حاسما ، شيئا يشبه القانون الذي
ينظم علاقات واضحة محدودة بين الناس امر غير عملي وغير ممكن ،
ولكن هذا لا يمنع من ابداء بعض الاقتراحات .

اذا القينا نظرة على قانون تفرغ الفنانين الذي اصدرته وزارة
الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة منذ مدة وجيزة نجد انه يشبه
المنح التي تخصصها الجامعات في الدول الغربية لبعض الدارسين
حتى يتفرغوا لانتاج عمل معين يحتاج الى مال وتفرغ . لان الباحث خلال
هذه المدة لا يستطيع ان يزاول عمله العادي وارضاء طلب السوق خلال
ذلك . ولان الجامعات الغربية تشع - عندما خصصت امثال هذه
المنح - انه من الصعب انتاج اثر ذي قيمة علمية في ظروف السوق
الغربية .

ولكن هل ينطبق الامر على الفنان ؟ ان نمثحه تفرغا لمدة سنة فان
انتج خلال هذه السنة اعمالا ترضى عنها الوزارة فمئذها يصبح من
الممكن تجديد مدة التفرغ سنة اخرى ؟

انا هنا نضع الفنان بين نارين : بين احساسه بان عليه ان ينتج
قسرا شيئا ما خلال هذه السنة ، والا فسيعود الى حالته الاولى من
العانة والإنهاك التي لا تسمح له بالانتاج ، او حتى الى وضع ربما كان
اكثر سوءا بسبب كثير من الفرص التي تتيحها له الحياة العملية . وبين

رضى المسؤولين الذين يمنحون التفرغ ، ومهزلة لجنة الشعر معروفة
في هذا المجال اذ تحول اجود ما ينشر من الشعر الى لجنة النشر على
اعتباره ليس شعرا .

ولعله من الامور ذات الدلالة ان معظم الابداء الذين هم بحاجة الى
تفرغ لم يحاولوا الاستفادة من هذا القانون . فنحبيب محفوظ ويوسف
ادريس وعبد الرحمن الشرفاوي وادوار الخراط لم يقدموا اي طلب
للتفرغ . (من الطريف حقا ان صلاح عبد الصبور فسر استغراقه بالعمل
الصحفي بالحاجة الى مورد رزق ، وان احسان عبد القدوس كتب
الشكوى من ارهاق العمل الذي يمنعه من الانتاج كما يود ومع هذا لم
يقدموا اي طلب للتفرغ) .

بالطبع ليس في نيتي ان اضع مشروع قانون للتفرغ ، ولكن ملاحظة
ان هذا القانون لم يحل المشكلة الرئيسية للفنانين وهي ايجاد قدر
من الاطمئنان النفسي يجعلهم قادرين على التفرغ دون الاحساس بالخوف
من مصيرهم معلقا خلال سنة من الزمان ، هي امر جدير بالانتباه
والعلاج .

ونظرا لمشكلة جمهور القراء ، وهو كما قدمنا جمهور مرهق ماديا
ونفسيا ولذا يقبل عليه الانسان المتوتر .

ان حل المشكلة المادية وحدها لا يكفي ، لان الانسان الذي يفقد
الاطمئنان النفسي اذا منح المال تحول الى مبدد او ربما الى انسان
يكنز المال ولا يحاول الاستفادة منه .

ان ما يحتاجه هذا الجمهور ، بجانب حل المشكلة المادية ، ان يمنحه
عائلة الاطمئنان والقدرة على الانتماء واقامة علاقة مع الاخرين تتميز
بالعفوية والحب .

ان هذا يستلزم تنظيم المجتمع على اساس يتيح للجميع ان يتلاقوا
دون خوف ، وان لا يلاحقوا بمئات القيود التي خلفتها العهود السابقة
والتي تدفعهم الى الانطواء والقلق .

غالب هلسا

القاهرة

الى مدراء المعاهد والمدارس والمؤسسات

مكتبة لبنان

بيروت - ساحة رياض الصلح

تعلن عن استعدادها لتزويدهم بجميع ما يحتاجون اليه من كتب انكليزية وفرنسية وعربية
مدرسية وادبية وعلمية ، وكل المعلومات الضرورية واللوائح والفهارس .

ويسر مكتبة لبنان ان تستقبلهم لدى زيارتهم للعاصمة اللبنانية لتقدم
لهم جميع الخدمات والتسهيلات